

"يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك"، وهو يعلم أن قلبه بيد الرحمن ﷻ وأن الله سبحانه يصرفه كما يشاء.

فضرورته إلى ربه بحسب معرفته به وحسب قربيه منه ومنزلته عنده ولهذا كان أقرب الخلق إلى الله وسيلة وأعظمهم عنده ولهذا كان الرسول أرفع الخلق منزلة وجاها عند الله لتكميله مقام العبودية بالفقر إلى ربه، فمقام الرسول ﷺ بكمال عبوديته لله سبحانه وتعالى وبكمال مغفرة الله له، فقد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وكان الرسول ﷺ يستفتح في صلاة الليل: "اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت". وقالت السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: "وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط". "وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما"، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضا.

عصمة الله لرسوله ﷺ

لقد عصم الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من كل مكروه. حفظه من شياطين الإنس والجن، وقد تجلت هذه العصمة بما قيضه الله من ملائكة كرام أحاطوه بالرعاية الإلهية والحفظ حتى البعث للنبوّة وحتى أتاه اليقين.

فعندما كان رسول الله ﷺ ينقل الحجارة حين بنیان الكعبة مع قومه، وكان رسول الله يحمل الحجارة على عاتقه فسقط مغشياً عليه وقال غزاري إزارى وشد على إزاره فضممه عمه العباس إلى نفسه وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودي من السماء أن اشدد عليك إزارك يا محمد، فلا ينبغي لرسول الله ﷺ أن تكشف عورته.

وحيثما اصطحبه عمه أبو طالب في تجارة الشام فقد عرفه بحيرى الراهب عندما لاحظ غمامة كانت تظل رسول الله ﷺ وتظل الشجرة التي استظل بها فقام إليه بحيرى الراهب ليسأله عن أشياء يتثبت بها من أنه ﷺ هو النبی المنتظر الذي يجدونه مذكوراً عندهم في التوراة ولقد حذر عمه أن يعلم به اليهود فإنهم لو علموا به لقتلوه ونصحه بالرجوع به كما ذكرنا من قبل.

بالإضافة إلى هذا فإن الله سبحانه وتعالى قد حفظه أثناء فترة رعيه للغنم فلقد استأذن فتیان مكة من رعاء الغنم حتى يسمر في ليلتين مثلما يسمر الفتیان، ففي تلك الليلتين جلس في إحدى الدور قالوا تزوج فلان فلانه وسمع عزفاً بالغرايل، وضرب الله على أذنيه فما أيقظه إلا الشمس في صباح اليوم التالي.

وقد حفظه الله سبحانه وتعالى قبل البعثة من أن يسجد لصنم أو حتى يحضر العيد الذي كان قومه يقيمونه لأصنامهم، ولما ألح عليه عمه أبو طالب لكي يحضر ورأى عماته وقد غضبن عليه أشد الغضب، وجعلوا يقولون له أما تحضر لقومك عيداً. فلم يزالوا به حتى ذهب، فغاب ما شاء الله ثم رجع إليهم مرعوباً فرعاً، فلما سألوه ماذا رأيت؟ قال: إني كلما دنوت إلى صنم منها تمثل لي رجل أبيض يصيح بي ورائك يا محمد لا تمسه. كما عصمه الله سبحانه وتعالى من محاولات قتله، التي حاول أن يفعل أكثرها اليهود، فنجاه الله منها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة ٦٧).

كما أن شبيه بن عثمان بن أبي طلحة أراد أن يقتل رسول الله ﷺ لمقتل أبيه يوم أحد فأراد أن يثأر منه، فأقبل إليه شيئاً حتى تغشى فؤاده، فلم يطق ذلك وعلم أن رسول الله ﷺ ممنوع عليه.